دور زعيم التيجانية في مقاومة الإستعمار الأوربي في غرب قارة أفريقيا

د . عبد الله عبد الرازق إبراهيم
جامعة القاهرة

مع مطلع القرن التاسع عشر تعرض العالم الإسلامي ، وأفريقيا الى موجة صليبية جديدة ، حاولت النيل من الإسلام وحضارته ، وكان المسلمون أمام أحد أمرين ، هما إما العودة الى السلف الصالح والكتاب والسنة لتجديد الدعوة الإسلامية ، وإزالة ما علق بها من شوائب وأمور بعيدة عن الدين الصحيح ، ومن هذا الاتجاه الدعوة الوهابية في شبه الجزيرة العربية ، والدعوة السنوسية في ليبيا ، والدعوة المهدية في السودان ، وكان هدفها العودة الى الكتاب والسنة المحمدية .

وظهر تيار آخر حاول مسايرة الموجة الجديدة ، والاقتباس منها وتجديد أحوال المسلمين ، وفي هذا الصدد ظهرت دعوة جمال الدين الأفغانى ، ومحمد عبده ، ورشيد رضا ، في محاولة خروج الأمة من كبوتها ، والاقتباس من الحضارة العربية ما يلائم طبيعة الدعوة الإسلامية .

وأمام هذين التيارين ظهر تيار الطرق الصوفية التي حاولت بناء مجتمعات إسلامية في القارة الأفريقية ، لنشر الإسلام الصحيح بين القبائل الوثنية ، أو بين الجماعات التي لا تعرف الإسلام إلا بالاسم ، وكان على هذه الطرق أن تحارب في جبهتين إحداهما داخلية لنشر الإسلام الصحيح وبناء مجتمعات إسلامية في القارة ، وفي الوقت نفسه ، مواجهة تحديات القوى الاستعمارية التي حاولت طمس الهوية الإسلامية ،

وفرض الثقافات الغربية ، وفرنسة أبناء هذه الشعوب ، فيما عرف بسياسات الاستيعاب وفرنسة النخبة ، وكان على رجال الصوفية التصدي لهذه الموجة التي تحاول طمس الهوية الإسلامية .

لقد كانت الطرق الصوفية في القارة الأفريقية في القرن التاسع عشر ، من أبرز علامات التنوير والثقافة في هذه الفترة ، وتصادف أثناء قيام هذه الدول بدور كبير لنشر الإسلام ، أن اجتاحت الدول الأوربية هذه المناطق ، خاصة في غرب القارة الأفريقية ، فكان على رجال الطرق التصدي لتلك الموجة ، خاصة الطريقة القادرية أوسع الطرق انتشارا في القارة ، والطريقة التي جاءت في المكانة الثانية بعد الطريقة القادرية .

لقد لعبت هذه الطرق أدوارا بطولية ، وتصدت لهذه الموجة الاستعمارية ، وجعلت طريق المستعمر صعبا ، وهو يحاول التوسع في القارة ، وسجلت هذه الطرق بحروف من نور مقاومة إسلامية مشرقة ، حافظت فيها على مناطق جهاده على جهود المسلمين لبناء دول إسلامية لا تزال حتى يومنا هذا منارات للعلم ، والثقافة الإسلامية في دول غرب القارة ، أمثال وغينيا وتشاد ونيجيريا ، وكان لجهود هؤلاء الزعماء بصمات واضحة في المقاومة والتصدى للاستعمار الأوربي ، لقد تنافست الطرق الصوفية في المقاومة الإسلامية ضد الاستعمار الأوربي ، ولم يطأ الاستعمار أرضا الا ووجد مقاومة إسلامية صوفية ، سواء من أتباع الطريقة القادرية أو التيجانية أو العينية أو السنوسية أو الحمالية أو الإدريسية أو الشاذلية ، ولم يتوقف زعماء الطرق عند الجهاد وصد الغزو الاستعماري ، والوقوف بكل قواهم أمام محاولات التنصير وفرض الثقافات الأوربية على ديار الإسلام ، بل نجحت الطرق الصوفية في تشكيل منظومة من المقاومة الإسلامية الناجحة التي أجبرت هذه القوى على الاعتراف بهذه الزعامات ، ومحاولة التفاهم معها من أجل بسط سيرتها ، لكن زعماء الطرق رفضوا كل المحاولات وواصلوا النضال والكفاح ، حتى سقط منهم الشهداء ، أما في أرض المعركة ، أو بعد القبض عليهم وموتهم في المنفى .

إن تاريخ الصوفية في القارة الأفريقية ، ودور زعمائها في النضال ضد الوجود الأجنبي ، لا يقل بحال من الأحوال عن دورهم الثقافي لنشر الإسلام بين القبائل والجماعات الوثنية ، وإقامة مجتمعات إسلامية في مناطق نفوذها ، وبفضل جهود هذه الطرق استمرت مسيرة الإسلام الصحيح ، واستمرت الحضارة الإسلامية الزاهرة في كثير من مناطق القارة ، ولا تزال مناطق جهاد الصوفية منارات للعلم والثقافة والحضارة

طول القرنين التاسع عشر والعشرين ، ولم تستطع القوى الأوربية رغم بسط سلطانها على هذه المناطق أن توقف الدعوة الإسلامية التي ظلت تقاوم وتناضل حتى تحررت القارة الأفريقية من هذا الغزو الاستعماري ، وعادت أفريقيا حرة لأبنائها ، واستمر المسلمون والطرق الصرفية يمارسون دورا هاما وحيويا ومفصليا في القرن الحادي والعشرين الذي بدأت معه موجات جديدة من الضغط الأوربي الأمريكي على القارة الأفريقية ، والأمل معقود على رجال الصوفية ، والطرق التي لا تترك مجالا للجهاد والنضال إلا طرقته ، لأن هدفها الأساسي وديدنها الرئيسي هو الحفاظ على الإسلام وحضارته أمام أي غزو ، يحاول النيل من الدعوة المحمدية والسنة الشريفة ، وحقا تبذل الجماهيرية اللبيبة جهودا مضنية وملموسة لنشر الإسلام وحضارته في القارة الأفريقية ، وإن هذه الندوة مثال على هذا الدور المحورى لنشر الإسلام ودراسة الطرق الصوفية ، ودورها الإيجابي لنشر حضارة الإسلام في القارة .

يحاول هذا البحث إلقاء الضوء على دور قيادات إحدى الطرق الصوفية لمقاومة الاستعمار الأوربي ، وتم اختيار الطريقة الصوفية التيجانية ، ودورها في المقاومة الإسلامية ضد الاستعمار الأوربي ، وينقسم البحث إلى عدة محاور هي :

أولا : الطريقة التيجانية ومراحل انتشارها في غرب أفريقيا

أسس الطريقة التيجانية الشيخ أبو العباس بن أحمد بن محمد المختار التيجاني، الذي ولد في قرية عين ماضي ، في جنوب الجزائر في عام 1737.[1]

شعر أحمد التيجاني ، وهو في سن الحادية والعشرين بالميل نحو الحياة الصوفية ، وفي عام 1757 سافر إلى مدينة فاس للبحث عن شيوخ الصوفية في هذا المركز الديني ، وهناك درس أسس الطريقة ، وانضم إلى ثلاثة منها قبل أن يعود إلى جنوب الجزائر ، وهي الطريقة القادرية ، والناصرية ، وطريقة ابن حبيب بن محمد بن الحسن الوانجيلي . ذهب إلى قرية الأبيض على مشارف الصحراء ، حيث استقر في

(1) اشتقت التيجانية هذا الاسم من اسم قبيلة بربرية جزائرية ، كانت تقطن بالقرب من تلمسان ، وتسمى تيجان ، وقد استقر أحد أحفاد القبيلة فى واحة عين ماضى ، وتزوج من إحدى بنات القبيلة وحصل على لقب التيجانى ، وكانت مدينة عين ماضى التى ولد فيها أحمد التيجانى ، قد تأسست فى القرن الخامس الهجرى (الحادى عشر الميلادى) وبناها ماضى بن يعقوب بالقرب من أحد العيون المائية ، فصارت تعرف باسم عين ماضى ومن هذا الاسم عرفت المدينة .

زاوية سيدي عبد القادر بن محمد ، ومكث بها خمس سنوات ، استغل بعضا منها في التدريس[1]، وفي عام 1773 بدأ الشيخ التيجاني رحلة الحج إلى الديار المقدسة ، وتوقف في الطريق في مدينة أزواوي بالقرب من الجزائر ، وهناك انضم إلى الطريقة الخلواتية ، ثم قضى عاما في تونس حيث درس كتاب ابن عطا الله (كتاب الحلم)، وحقق نجاحا في تدريسه لدرجة أن باي تونس طلب منه البقاء للتدريس في مسجد الزيتونة ، وأغراه بالمال والمسكن الفاخر ، لكن التيجاني رفض ، وقرر مواصلة الرحلة . وما أن وصل إلى القاهرة حتى انضم إلى إبراهيم جولشني ذي الأصل التركي وقد التقى التيجاني بالشيخ محمد الخضري رئيس الطريقة ، وتعلم على يديه الكثير من مبادئها، وواصل رحلته إلى الحجاز .[2]

بعد أداء فريضة الحج وأثناء عودته إلى بلاده ، توقف أحمد التيجاني في القاهرة، حيث فوضه الشيخ محمد الخضري نشر تعاليم الطريقة الخلواتية في شمال أفريقيا، واتجه أحمد التيجاني إلى مدينة فاس بالمغرب ، بدلا من مدينة عين ماضي ، وبعد أن زار ضريح مولاي إدريس في عام 1777 ، اتجه إلى تلمسان في الجزائر ، واستقر بها حتى عام 1782 ، ثم اتجه بعد ذلك إلى الصحراء .[3]

اتجه أحمد التيجاني إلى سيدي أبي سمحون ، وهي واحة جزائرية واستمر بها فترة ، حتى هاجر إلى فاس عام 1196 هـ 1782 ، وأقر ورد الطريقة التيجانية، ويقول خالد الناصري في كتابه "الاستقصاء" أن الشيخ أرسل عند وصوله إلى فاس رسولا إلى مولاي سليمان ، يخبره أنه هاجر بسبب إرهاب الأتراك وظلمهم ، ولما جلس مع السلطان ، ورأى فيه الصلاح والتقوى ، أعطاه دارا ورتب له ما يكفيه ، وأقبل عليه الخلق ، واشتهر أمره في فاس والمغرب ، وظل أحمد التيجاني في فاس ، حتى وافته المنية في عام 1815.

بعد وفاة الشيخ أحمد التيجاني ، عاد أبناؤه إلى فاس لنقل رفاة والدهم إلى عين ماضي ، لكن رؤساء الزوايا تدخلوا لإبقاء الجثة في مكانها ، ورغم بقاء جثمان أحمد

(1) Des Pois,T. : Le Diebel Amour (T) Igeria 1956 , P .79 .

(2) Trimingham, J.S. : The Sufi Orders in Islam, London 1971 , P.67
Abun Nasr Gamil : The Tijanizya , a Sufi Order in the Modern World , London 1971 , .P.19 .

(3) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الطرق الصوفية فى القارة الأفريقية ، القاهرة 2004 ، ص52 .

التيجاني في فاس ، إلا أن زعامة الطريقة انتقلت إلى الجزائر ، وظهرت فروع لها في السودان العربي ، بقيادة الحاج عمر الفوتي التكروري (1795-1864) الذي كان قد زار دولة سوكوتو ، التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في شمال نيجريا ، وهو في طريقه إلى حج البيت الحرام ، وتلقى ورد الطريقة على أيدي الشيخ عبد الكريم بن أحمد النقيل الفوتا جالوني .(1)

لقد لعبت مدن شمال إفريقيا دورا كبيرا في نشر الدين الإسلامي في غرب القارة ، بل تكونت ممالك ومدن إسلامية عريقة في الغرب ، حيث ظهرت دولة غانا ومالي وصنغي ، ومدن تمبكت وكانو وجني وجاو ، وصارت هذه المدن مراكز الإشعاع الحضاري الإسلامي . وقام رجال الصوفية بدور ريادي لنشر الإسلام الصحيح بين القبائل التي لم تعرف من الإسلام سوى الاسم ، وكان على رجال الصوفية إعلان الجهاد ، وتأسيس دول إسلامية ، اتخذت من الشريعة المحمدية منهاجا وسبيلا إلى الحكم .(2)

من الصعب الحديث عن الطريقة التيجانية في غرب القارة ، دون أن نعرج قليلا على لحديث عن الحاج عمر الفوتي التكروري ، الذي أسهم في نشر الطريقة التيجانية، وأسس إمبراطورية كبرى ، وأقام مجتمعا إسلامياً طبق الشريعة الغراء في كل مناحي الحياة ، وتصادف مع بناء دولته في مطلع القرن التاسع عشر ، ظهور جحافل الفرنسيين الذين كانوا قد بدأ التوسع الاستعماري ، من السنغال غربا حتى جبيوتي شرقا ، وكانت إمبراطورية الحاج عمر هي العقبة الكبري أمام هذا التوسع الفرنسي ، وكان لابد من المواجهة والمقاومة والتصدي لهذا الوجود والتقدم الفرنسي من الغرب إلى الشرق.(3)

ولد الحاج عمر بن سعيد الفوتي في قرية حلوار ، بالقرب من بودور على الحدود السنغالية الموريتانية في عام 1795 ، وهوالابن الرابع للشيخ سعيد الذي ينتمي إلى جماعات التورودب ، الذين قاوموا الوثنية في هذه المنطقة ، كما لعبت هذه

(1) السيد أحمد العراقى : نظام الحكم فى الخلافة الصكتية ، الخرطوم 1983 ، ص52-57 .

(2) عن انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية انظر حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقية ، جـ1 ، القاهرة 1963 ، ص217-230 .

(3) شوقى الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر ، القاهرة 2004 ، الفصل السابع .

الجماعات دورا قياديا في مقاومة التوسع الأوربي ، بعد أن اعتنقت الدين الإسلامي.[1]

درس الحاج عمر اللغة العربية ، وعلوم الدين تحت إشراف والده ، فحفظ القـرآن الكريم ، ودرس صحيح مسلم وصحيح البخاري ، وعندما بلغ سن الخامـسة عـشرة مـن عمرة ترك حلوار ، لكي يتلقي علوم الدين تحت إشراف العلماء المحليين في فوتاتورو، وعلى مشايخ الطرق الصوفية ، وخصوصا شيوخ الطريقة التيجانية .

وفي عام 1814 ترك الحاج عمر منطقة فوتاتورو ، واتجه إلى مدينة سـاتينا في فوتاجالون التي تبعد مئات الأميال عن حلوار ، وفي هذه المدينة بدأ يكسب لقمة العيش من خلال تدريس القرآن الكريم ، والسنة النبوية لأطفال القرى والمدن المجاورة ، وظـل هناك حتى بلغ من العمر إحدى وثلاثين عاما . وفي عام 1826 قام الحاج عمر برحلة ثقافية ودينية طويلة ، بدأها بالذهاب إلى بيت الله الحـرام لأداء فريـضة الحـج مـع أخيـه علي ، وفي إحدى رحلاته إلى البلاد المقدسة التقى بالشيخ التقيل ، أحد شيوخ التيجانيـة من فوتاجالون ، حيث درس على يديه مبادئ هذه الطريقة ، وذهب معه إلى مدينة حمد الله العاصمة الجديدة لدولة ماسينا ، وفي هذه المدينة توطدت علاقات الحاج عمـر مـع سكان ماسينا ، الذين عهدوا إليه بنشر مبادئ الدين الإسـلامي بـين أبنـاء المدينـة وأبنـاء الأسرة الحاكمة .[2]

انتقل الحاج عمر من ماسينا إلى دولة الخلافة في سوكوتو ، حيـث قـضى سـبعة أشهر ، غادر بعدها المنطقة إلى فزان والسودان المصري في ذلك الوقت ، وأخيرا وصـل إلى مكة المكرمة عام 1828 ، حيث قابل هناك الشيخ محمد الغالي ، أحد رفاق الشيخ أحمد التيجاني وخليفته في الحجاز ، وهناك اكتسب الحاج عمر شـعبية كـبيرة ، جعلتـه يدخل في صراع مع العلماء هناك ، الأمر الذي جعلـه يعجـل بـالعودة مـن الحجـاز[3]، وفي طريق العودة زار الحاج عمر العديد من الدول ، واستقر في بعضها حينا من الوقت، وفي القاهرة وبرنو قضى عدة سنوات ، ثـم اسـتقر في دولـة سـوكوتو والتقـى بالخليفـة

(1) Abun Nasr Gamil : Op . cit . P . 106

(2) Willis , John Ralf : The Writings of Al Hagi Umar al Futi , in Studies in West African Islamic History , Vol . I . P . 178 .

(3) Martin , B . G . : Moslem Brother hoods in the 19th Century Africa , London 1976 , P . 69 .

محمد بلو بن الشيخ عثمان بن فودي ، وحاول التوفيق بين المسلمين في سوكوتو وكانم وإمبراطورية البرنو ، لكنه عجل بالتوجه إلى غرب أفريقيا لتحقيق أهدافه في بناء دولة إسلامية .(1)

لقي الحاج عمر معاملة حسنة من الخليفة محمد بلو الذي زوجه إحدى بناته التي تدعى فاطمة ، وفي سوكوتو التقى الحاج بالرحالة الانجليزي كلابرتون الذي أشاد بذكاء هذا العالم من فوتاتورو .(2) استفاد الحاج عمر من إقامته في دولة سوكوتو ، حيث تعلم طرق الحكم ، بل شارك في جيوش الخلافة ضد الوثنين ، وانتصر في بعض المعارك ، وكانت هذه فترة إعداد وتحضير للدور الكبير الذي يعد نفسه له في المستقبل، وحقق من جراء ذلك مكاسب كثيرة ، وجمع ثروات ضخمة من جراء الاشتراك في الحروب ، والحصول على قدر من الأسلاب والأسلحة والرقيق .(3) ، ظل الحاج عمر في دولة سوكوتو حتى وفاة الخليفة محمد بلو في عام 1837 ، وبعدها قرر الرحيل إلى ماسينا لتبدأ رحلة جديدة من حياته لبناء الدولة الإسلامية،

وكانت فترة إقامته في سوكوتو من أغنى فترات الإنتاج الأدبي للحاج عمر ، حيث ألف كتابة المشهور (رماح حزب الرحيم علي نحور حزب الرجيم) الذي يتكون من خمسة وخمسين فصلا إلى جانب المقدمة والخاتمة ، ويتناول الكتاب عدة أمور مثل الحث علي دخول الطريقة التيجانية ، والحديث عن معني الزهد . وقد طبع الكتاب في القاهرة ويقع في حوال 559 صفحة ، ويعتبر كتاب الرماح المرجع الرئيس للطريقة التيجانية .(4)

وفي الجزء الأول من الكتاب ، ركز الحاج عمر على الصدق ، وتحذير الإخوان من مخالفة شيخ الطريقة ، كما ركز على فوائد الذكر وشروط الدخول في الطريقة

---

(1) الحاج عمر الفوتى : تذكرة الغفلان وكبح اختلاف المؤمنين (منظومة فى إصلاح ذات البين) مخطوطة بباريس تحت رقم 5609 .

(2) Hugh Clapperton : Journal of a Second Expedition in the Interior of Africa, London 1926 , P . 249 .

(3) Mage , E . : Voyage dans le Soudan Occidentale , P. 233 .

(4) انظر تفاصيل هذه الطريقة فى كتاب "حرازيم بن العربى" جواهـــــر المعاني وبلوغ الأماني فى فيض سيدي أبى العباس التيجانى في الجزء الأول القاهرة 1977 .

التيجانية.[1]

ويبدأ الجزء الثاني من كتاب الرماح بالفضل الخامس والثلاثين ، وينتهي بالفصل الخامس والخمسين ، وفيه يركز على فضل شيوخ الطريقة ، والحديث عن الخلوة المحمدية ، وطريقة إعطاء الورد ، وأخيرا الحديث عن الأمور التي تكفر الذنوب، وباختصار وضع الحاج عمر في كتاب الرماح كل ما يهم المسلم من أمور دينه بشكل سليم ، في زمن سادت فيه الخرافات ، ونسي الناس الدين الصحيح ، وبذلك صار هذا الكتاب نقلة جديدة لبناء مجتمع مسلم ، بل ثورة فكرية وجهاد حقيقي في سبيل نشر كلمة التوحيد .[2]

ثانيا : دور زعيم الطريقة في نشر الإسلام وبناء لدولة

بعد وفاة الخليفة محمد بلو زعيم المسلمين في دولة سوكوتو التي أسسها الشيخ عثمان بن فودي في عام 1837 ، غادر الحاج عمر سوكوتو ، ووصل إلى ماسينا حيث التقى بالشيخ أحمد البكائي ، أحد أحفاد سيدي المختار الكنتي الذي نشر الطريقة الصوفية القادرية في السودان الغربي ، في أواخر القرن الثامن عشر .[3] وظل الحاج عمر في ماسينا تسعة أشهر ، حاول خلالها مبادئ نشر الطريقة التيجانية ، لكن وجد معارضة من أتباع الطريقة القادرية ، بل جرت عدة محاولات لإغتياله فاضطر إلى عبور نهر النيجر إلى مدينة كانجانا ، حيث قضى بها ثلاثة أشهر غادر بعدها إلى مدينة كان كان ، التي مكث بها عامين نشر خلالها الطريقة التيجانية .[4]

في عام 1840 تحرك الحاج عمر إلى مدينة دياجونكو ، واستقر بها أربع سنوات 1840- 1844 ، حيث انتهى من تأليف كتاب الرماح ، وخصص جزءاً لرغبته في تقلد منصب الخليفة ، بعد أن شاهد رؤيا في المنام بهذا الشأن.[5] وفي عام 1849

---

(1) انظر كتاب الرماح المنشور على هوامش كتاب جواهر المعانـــــــى المطبوع بالقاهرة 1977 .

(2) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الصوفية والمجتمع ، فى غرب أفريقيا ، القاهرة 1998 ، ص260- 262 .

(3) حسن المنيسى : دولة ماسينا وتطورها الحضاري في القرن التاسع عشر ، رسالة دكتوراه معهد البحوث الأفريقية – جامعة القاهـــرة 1999.

(4) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الطرق الصوفية فى القارة الأفريقية ، ص56 .

(5) الحاج عمر : كتاب الرماح ، طبعة مصطفى الحلبى ، القاهرة 1961، ص97 .

رحل الحاج عمر أخيرا إلى دنجوراي التي صارت المقر الروحي والعسكري لدولته الجديدة ، وكانت الإمامة في فوتاتورو قد أجبرت الحاج عمر على الهجرة إلى دانجوراي ، التي اعتبرها الحاج شبيهة بهجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة ، ومن هذا المكان بدأ الحاج عمر جهاده ، من أجل نشر مبادئ الطريقة التيجانية في غرب افريقيا ، ثم مقاومة التوسع الأوربي الفرنسي في بلاده . (1)

لقد استطاع الحاج عمر أثناء إقامته في دولة سوكوتو ، أن يكسب الكثير من الأعوام المخلصين ، كما أن الأسلاب التي حصل عليها في الحروب تضم عددا من الرقيق الذين حررهم إلى جانبه . قسم الحاج عمر قواته إلى ثلاث مجموعات ، تضم المجموعة الأولى الطلاب الذين ناصروه في نشر مبادئ الطريقة ، وتضم المجموعة الثانية الصوفيين من الرقيق ، وغيرهم من المسلمين الأشد حماسا للجهاد ، وأخيرا جماعات التوبورو الذين يتم تجنيدهم بالقوة . وكان الشيخ يكسب أعواناً جددا في كل منطقة يقوم بغزوها ، وينشر بها الطريقة التيجانية ، وقد ازداد عدد جيشه من اثني عشر ألف مقاتل إلى خمسة عشر ألفا ، واستمر في الازدياد حتى وصل إلى ثلاثين ألفا في عام 1861 . (2) (21)

في عام 1852 أعلن الحاج عمر الجهاد ضد الوثنيين في السودان الغربي ، من حدود مدينة تمبكت حتى حدود السنغال الفرنسية ، ورغم أنه اعتبر نفسه مصلحا دينيا وأعلن الزهد في الأمور الدنيوية المؤقتة ، إلا أنه كان مستعدا لتحقيق آماله من خلال الطرق السياسية والعسكرية واعتبر الحاج عمر أن رسالته المقدسة هي تنقية الإسلام في السودان الغربي من كل ما علق به من شوائب ، ووضع حدٍّ للوثنية وتطبيق الشريعة الإسلامية . واتبع الحاج عمر أسلوب العنف لتحويل الناس من الديانات الوثنية إلى الدين الإسلامي الصحيح ، وقام ببناء المساجد ، ونشر المدارس القرآنية في كل أرجاء المنطقة التي دانت لسلطانه . (3)

لقد كان حماس جيشه واضحا في تطبيق مبادئ الشريعة ، وكان هذا الحماس

---

(1) Le Chatelier : L'Islam dans L'Afrique Occidentale, Paris 1899, .P .176

(2) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : المسلمون والاستعمار الأوروبى لأفريقيا ، الكويت – سلسلة عالم المعرفة العدد 139 عام 1989 ، ص84-86 .

(3) Mage, E : Op . cit . 148

سببا في ازدياد عدد اتباعه الذين انتشروا في كل مكـان يـدافعون عـن الـدين الإسـلامي ، ويعيدون إلى الإسلام مجده في هذه المنطقة ، لدرجة أن حاكم السنغال الفرنسي عبر عن دهشته لهذا الحماس الديني ، واندفاع المسلمين بكل قوة وشجاعة نحو نيران الفرنـسيين سعيا للاستشهاد في سبيل الله والوطن .(1)

وفي عام 1854 سيطر الحاج عمر على معظم أعالي نهر الـسنغال ، بـل وصـل نفوذه إلى مدينة باكل ، وكان يأمل في الحصول على أسلحة من الفرنسيين ، لكن حظـر توسعاته في الغرب غيرت العلاقات مع الفرنسيين ، وتحول إلى عداء مفتوح بين الحاج عمر والفرنسيين . حاول الحاج عمر الحصول على أسلحة من الفرنسيين من أجل بنـاء دولته وللقضاء على كل الجماعات الوثنية داخل بلاده ، لكن فرنسا وجدت فيـه خـصما عنيدا ، يقف في طريق توسعاتهم من الغرب إلى الشرق . ووجـدوا فيـه زعيمـا إسـلاميا يحاول نشر الإسلام والطريقة التيجانية ، ووجدوا فيـه محاربـا صـلدا يحـاول بنـاء دولـة إسلامية على أسس الشريعة الإسلامية ، في الوقـت الـذي يحـاولون فيـه بـسط نفـوذهم، وتوسيع خطوط دفـاعهم للوصـول إلى الـشرق إلى جيبـوتي ووجـدوا أن الحـاج عمـر يحـاول بنـاء دولـة إسـلامية في وقـت تـسعى فيـه فرنـسا للتوسـع وبـسط النفـوذ وبنـاء إمبراطورية في غـرب القـارة ، وتحـاول فـرض سياسـات الحكـم المباشـر والفرنـسية ، والقضاء على الثقافات المحلية ، ومنها الثقافة الإسلامية التي يحاول الحـاج عمـر وضـع لبنات مجتمع مسلم ، فكان لابد من الـصدام نظـرا لاخـتلاف اسـتراتيجية وأيديولوجيـة الحاج عمر عن النهج الفرنسي التوسعي .(2)

كان الحاج عمر يرغب في تحسين علاقاته مع الفرنسيين مقابـل الحـصول علـي الأسلحة والذخيرة ، وكان على استعداد للموافقة علي تسهيل تجارتهم عـبر دولتـه حتـى لايهاجموه من المؤخرة ، وهو يحارب الوثنيين في منطقة كارتا(3) ، وقال الحاج عمـر في لقاء مع بعض المسئولين الفرنسيين إنه يرغب في الـسلام ويكـره الظلـم ، وإن علـى الفرنسيين دفع الجزية إليه حتى يمكنهم المتاجرة في أمـان ، وإنـه عنـدما يـصبح إمامـا

(1) حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام فى القارة الأفريقية ، القاهرة 1963 ، ص85 .
(2) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الطرق الصوفية في أفريقيا ، ص58 .
(3) St . Martin Y.J. : L'Empire Toucouleur et La France (1846 - 1893) Dakar 1967 , P.76

لفوتاتورو ، فسوف ينظم دولته وسوف تسود علاقات الود مع الفرنسيين .[1]

لم يهتم الفرنسيون باقتراحات الحاج عمر ، لأنهم لا يرغبون في دفع جزية لأي حاكم مسلم ، وكان رد الفرنسيين الغامض على طلب الحاج عمر سببا في فتور العلاقات بينه وبينهم ، وقام الحاج بمنع المرور في حوض السنغال الأعلى ، بل حاول التحرك ضد المركز الفرنسي في مادينا ، وكانت هذه هي الشرارة التي ألهبت العداء بين الحاج .عمر والفرنسيين ، ولتبدأ مرحلة جديدة من نضاله ضد الوجود الفرنسي الذي كانت الطريقة الصوفية التيجانية هي الركيزة التي اعتمد عليها الحاج فيه، ضد الوجود الفرنسي في منطقة غرب القارة الأفريقية . [2]

ثالثا : دور الطريقة في مقاومة الاستعمار الأوربي

اتضح من العرض السابق أن الحاج عمر الفوتي بدأ بإنشاء دولة اسلامية في فوتاتورو ، مسقط رأسه بعد عدة جولات ورحلات في ربوع العالم الإسلامى ، وبعد أن تزود بمعين لا ينضب عن الطرق الصوفية ، ودورها الكبير في نشر الإسلام الصحيح بين القبائل التي لا تعرف الإسلام إلا بالاسم ، وبعد أن أعد عدته وكون دعائم دولته ، وجد أن فرنسا من جانب آخر ، قد بدأت خطتها التوسعية ، من مدينة سانت لويس في السنغال ، مع التقدم شرقا عبر الممالك الإسلامية الناشئة ، خاصة إمبراطورية الحاج عمر الذى حاول جاهدا عدم الاحتكاك بالفرنسيين ، حتى لا يؤثر ذلك على دولته الناشئة، ولكن الإطماع الفرنسية وتوسعاتها الإقليمية كانت وراء ضرورة الصدام مع المسلمين في هذه المناطق ، وكان لابد من احتكاك المسلمين في سانجامبيا وفوتاتورو مع الفرنسيين، وكان على الطرق الصوفية أن تتحمل هذا العبء الجهادي ، وظهر جهاد الحاج عمر الفوتي، والشيخ محمد الأمين والإمام ساموري توري في غينيا.

ففى أوائل عام 1854 بدأت علاقات الحاج عمر بالفرنسيين تأخذ شكل العداء الواضح والصريح ، خاصة عندما رفض الفرنسيون إعطاء الحاج عمر السلاح ، فضلا عن مساندة إعدائه من الماندي (الماندنجو)، وكان رد الفعل قيام الحاج عمر بمصادرة البضائع الفرنسية بخاصة على طول نهر السنغال ، ووجه رسالة إلى الحاكم الفرنسي

(1) Carrere, F. AND Holle, P. : De la Senegambie Francaise , Paris, 1855 , P. 138 .

(2) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : المسلمون والاستعمار الأوروبي لأفريقيا ، ص89 .

بخصوص إعمال الفرنسيين الذين كانوا يعملون على تقوية مكانتهم في وادي السنغال الأعلى على حساب إمبراطورية الحاج عمر . وكان من الطبيعى أن يرفض الفرنسيون مساندة الحاج عمر ، أو إمداده بالسلاح ؛ لأنهم يخططون للقضاء على كل المقاومة الإسلامية ، ومنها دولة الحاج عمر .

وضع الفرنسيون خطتهم على أساس مساندة سامبالا ، أحد أفراد الأسرة المالكة في مدينة كاسو ، ضد الحاج عمر ، وذلك مقابل موافقة سامبالا على بناء الفرنسيين قلعة في مادينا ، ووقع القائد الفرنسي فيدهرب سلسلة من المعاهدات مع عدد من رؤساء الماندنجو ، في محاولة لتقويض سلسلة الحاج عمر، وقام الفرنسيون بتشجيع العبيد الذين يعملون في جيش الحاج عمر ، على التخلي عنه ، والانضمام الى جماعات البمبارا الوثنية في سيجو .

قام الفرنسيون أيضا بعقد معاهدة مع بوكار بن ساندا في مملكة بوندو الواقعة على طول الشاطئ الأيسر لنهر السنغال الأعلى ، وذلك من أجل إعادته إلى مملكته، وفعلا تحالف بوكار مع الفرنسيين . وصار ركيزة أساسية واستراتيجية للقوات الفرنسية في السنغال حتى عام 1885. ونتيجة لهذه السياسة الفرنسية ضد الحاج عمر الذي واجه مقاومة عنيفة في منطقة كارتا ، وتحت الضغط الشديد من اتباعه ، تحدى الحاج الفرنسيين علانية لأول مرة في شهر أبريل عام 1857.

وقام أتباع الحاج عمر بمهاجمة مادينا ، رمز السيادة الفرنسية العدوانية ضده، حيث اجتاحت قواته المدينة وطرد سامبالا، ولم يرفع الحاج الحصار عن المدينة إلا بعد ارتفاع مياه النهر ، فاضطر الى المغادرة بقواته الى مدينة كونديان ، حيث بنى قلعة جديدة ، وواصل الحاج عمر الحرب ، وفي عام 1859 هاجمت قوات الحاج عمر قلعة ماتام ، وأحس الفرنسيون أنهم يواجهون حربا جديدة ، مثل التي واجهوها في الجزائر. (1)

على الرغم من أن الحاج عمر كان يكره مقاومة الفرنسيين ؛ لأنه لا يريد تشتيت

---

(1) Frey Henry : Compagne dans le Haut Senegal et dans le Haut Niger 1885-1886, Paris 1888, P.250 .

جهوده لبناء الدولة الإسلامية ، ولأنه يخشى تأليب الفرنسيين للقوى المحلية ضده ، إلا أنه اضطر الى ذلك اضطرارا ، بعد الانتهاء من غزو كارتا التي قاومت الحاج عمر فترة طويلة، وكانت حملات الحاج إلى فوتا تهدف في الحقيقة إلى الحصول على عدد من الأتباع والأعوان لتدعيم جيشه ، قبل القيام بسلسلة أخرى من الصراع مع الفرنسيين ، ولكن الحاج عمر لا يرغب في المواجهة المباشرة مع القوات الفرنسية الأكثر عدة وعتادا وأسلحة حديثة ، وحاول بكل الطرق تجنب الاحتكاك بهم ؛ لأن دولته في طور الإنشاء والتكوين ، ولأن مبادئ طريقته التيجانية لم تترسخ بعد لدى المواطنين في هذه الأمبراطورية .وأرسل الحاج رسائل الى الجماعات الإسلامية في سانت لويس يطلب منهم شن حرب مقدسة ضد حكامهم الوثنيين والمسحيين ، ووعدهم بمحاربة الفرنسيين حتى يطلبوا السلام منه ، وقال :(إن الحرب ضد الوثنيين يجب أن تستمر حتى يوافقوا على دفع الجزية) .[1]

لقد كانت هذه الدعاية التي نشرها الحاج عمر على طول نهر السنغال ، ضد الفرنسيين من العوامل التي جعلت القائد الفرنسى فيدهرب يخشى قوة الحاج عمر ، بل يفكر في دراسة الموقف جيدا على طول النهر، وذهب شخصيا في إحدى القوراب إلى مدينة باكل لمعرفة آخر الأخبار على الطبيعة ، وأكد فيدهرب في مراسلاته المستمرة إلى باريس على أن الحاج عمر ينوي شن حرب شاملة على الفرنسيين ، أسوة بالأمير عبد القادر الجزائري ، وفي فبراير عام 1865 كتب إلى وزير المستعمرات والبحرية قائلا : (إن الحاج عمر ينظم لقيام ثورة عامة ضدنا) .[2]

كل هذه الأمور كانت سببا في أن يتحفز الفرنسيون لاتخاذ إجراءات عسكرية لمواجهة خطط قائد المسلمين ، وترتب على ذلك قيام الفرنسيين ببناء قلعة في مادينا في مقاطعة كاسو ، ووقع فيدهرب معاهدة الصلح والتجارة مع سامبالا ملك كاسو[3] .

وبعد أن ثبت فيدهرب مركز الفرنسيين على طول نهر السنغال ، بدأ يسعى لعقد معاهدة سلام مع الحاج عمر ، وأصدر قبل سفره إلى باريس تعليمات إلى نائبه موريل

(1) انظر : المؤرخ الأفريقي ، دراسات وبحوث عدد تذكاري تحرير تمام همام تمام ، القاهرة 1994 ص109-115 .

(2) ANSOM . Archives d'Outre Mer, Senegal, I. 41 . b .

(3) Abun Nasr . Gamil : Op . cit . P . 116 .

بشأن التفاوض مع الحاج عمر ، على مشروع الإعتراف به ملكاً لكارتا ، مقابل أن يحد من نشاطه في المنطقة[1] وهكذا يتضح من هذه المحاولات أن الفرنسيين حاولوا التعامل مع الحاج عمر ، مثل ما يتعاملون مع الأمير عبد القادر الجزائري بعد توقيع اتفاق التافنا معه في عام 1837 .[2]

بعد عودة فيدهرب إلى السنغال في نهاية عام 1856 ، بدأ الحاج عمر كفاحه المباشر ضد الفرنسيين ، وذلك بمهاجمة مركز مادينا ، وهو الأمر الذي ضيع فرض السلام بين الطرفين ، وكان الحاج عمر يرغب في ضم وطنه في فوتاتورو إلى المناطق التي يسيطر عليها ، خاصة أن سكان هذه المنطقة كانوا يكرهون الحكم المسيحي الذي يعتبر شوكة في صدورهم ؛ لأن الفرنسيين كانوا يدمرون القرى التي يقطنها أعوان الحاج عمر .[3]

وفي الشهور الأولى من عام 1857 بدأ الحاج عمر هجومه علي قلعة مادينا ، واحتل إحدى المناطق في كاسو وتدعى تومورو دون قتال ، واقترب من النهر ، وفي 14 ابريل هاجم عاصمة مقاطعة لوجو ، واتخذها مقرا لعملياته العسكرية ضد الفرنسيين ، ووصل جيش المسلمين إلى منطقة مادينا حيث بدأ الحصار .[4]

كان جيش الحاج عمر يسير في ثلاثة طوابير بلغ عددها 15000 مقاتل ، وكانت حامية المدينة تضم أربعة وستين رجلا ، بقيادة بول هول الذي استطاع إرسال أحد رجاله إلى باكل ؛ ليخبر القيادة الفرنسية عن الوضع في مادينا ، وفعلا صدرت الأوامر لإحدى السفن الفرنسية بالتوجه إلى مكان العمليات العسكرية في مادينا ، لكن

---

(1) ANSOM, Senegal, I. P. 423 be .

(2) وقع الفرنسيون اتفاق التافنا مع الأمير عبد القادر في عام 1837 والذي نص على اعتراف الأمير بسلطة فرنسا على السواحل وأرض وهران ومتيجه ومستغانم ، واعتراف فرنسا بسلطة الأمير عبد القادر فى تافنا وتلمسان وتنطرى ، وبهذا الاتفاق سيطر الأمير على ثلثى الجزائر ، وأتاح الاتفاق فرصة تنظيم قواته وإعداد جيشه . انظر التفاصيل فى، شوقى الجمل وعبد الله عبد الرازق إبراهيم : تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، القاهرة 2005 ، ص272-273 .

(3) Morel to Minister of Marine and Colonies 13 August 1856, AOM . Senegal I . 426 .

(4) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : المسلمون والاستعمار الأوروبى لأفريقيا ، ص93 .

هذه السفينة تحطمت على إحدى الصخور ، ومنع الحاج عمر رجالها من الوصـول إلى القلعة المحاصرة ، وظلوا في حطام السفينة .[1]

وفي أول يونيه قرر فيدهرب أن يقود بنفسه حملة لإنقاذ حاميـة مادينـا ، ووصـل بقواته إلى حطام السفينة المحاصرة ، لكن جنودها كانوا قد ماتوا من الحمى ، وفي نفس الوقت كان بول هول وحامية مادينا يتوقعان وصول حملة الإنقاذ ، وفعلا وصل فيدهرب بعد ثلاثة أشهر من الحصار ، ووجد عددا من السكان قد ماتوا جوعا بسبب رفـض بـول هول الاستسلام لقوات الحاج عمر ، ونجح فيدهرب في إنقاذ مادينا ، وكان هذا امتحانـا لقوات الحاج عمر التي توقف نشاطها في هذه المنطقة لمدة عامين ، ولم يعـد إليهـا إلا في عام 1859 ، عندما هاجم المركز الفرنـسي في ماتـام الـذي أصـاب قـوات الحـاج بخسارة فادحة، أدت إلى نقصان جيشه، من خمسة عشر ألفا إلى سبعة آلاف جندي.[2]

انسحب الحاج عمـر بعـد هـذه النكـسة إلى جيومـو الـتي تبعـد حـوالي أربعـين كيلومترا عن نهر السنغال ، وبنى حصنا هناك ، وبدأ يعرقل تجارة الفرنسيين على طـول النهر ، ولـذا قـرر فيـدهرب تـدمير حـصن جيومـو ، وفعـلا تقـدم فـارون (Faron) واستولى علي الحصن ، لكن الحاج عمر كان قد انسحب منه قبـل وصـول الفرنـسيين ، واتجه إلى نيورو .

أدرك الحاج عمر أنه لا يستطيع مواجهة الفرنسيين في هذه المنطقة ، واتخذ قراره بإنشاء دولة متكاملة في الشرق بعيـدا عـن مجـال النفـوذ الفرنـسي ، وفي مـايو 1860 أرسل أحد رجاله إلى الفرنسيين ليبحث معهم رغبته في عقد اتفاق سلام ، وقام فيدهرب بنقل رغبة الحاج إلى الرؤسـاء المحلـيين مـن البمبـارا في باكـل ومادينـا ؛ لكـي يـدينوا بالطاعة والولاء للفرنسيين .[3]

وفي 21 أغسطس عام 1860 نـاقش المجلـس الإداري للـسنغال طلـب الحـاج عمر عقد الصلح والسلام ، ووضع فيدهرب عدة بنود تركز على رسم خـط حـدود بـين

---

(1) Faid herbe to Min of Marine and Colonies 19 July 1857 , AOM, Senegal I.42 . b .

(2) Mage, E: Voyage, PP.156-7 .

(3) Faid herbe to Min of Marine and Colonies 17 Sept . 1859, AOM Senegal I. 46 . a

منطقة الحاج عمر ومنطقة السيادة الفرنسية ، إلا أن هذه المعاهدة لم يكتب لهـا أن تـرى النور لأن الحاج عمر رفض هذه الشروط القاسية ، وغادر منطقة كارتا للبحث عن منطقة أخرى في النيجر ، ولم يتوقف نضاله ضد الفرنسيين ، بل كثف الدعاية ضدهم ، وكلـف رجاله بعرقلة التجارة الفرنسية إلى باكل .(1)

وعندما شعر الحاج عمر أن النـضال ضـد الفرنـسيين لـن يتوقـف ، وأن أطمـاع الفرنسيين لا حدود لها وأن محاولات الصلح معه ما هـي إلا مرحلـة مؤقتـه في خطـط الفرنسيين لابتلاع ممتلكاته ، وضمها للسيطرة الفرنسية ، قـرر التوجـه شـرقا إلى منطقـة النيجر من أجل توحيد الصفوف ضد العدو الأوربي ، وكانت هذه الاسـتراتيجية مرحلـة جديدة من نضال زعيم التيجانية ضد الفرنسيين ، وهي استراتيجية تدل على بصيرة قويه ، وعقلية عسكرية تواجه هذه التحديات الأوربية ، ولكن هذه العقلية لم تجد من يفهمهـا ، وأحست أنه جاء لغزوها والقضاء عليها ، وتحالفت ضده وتأمرت عليه في وقت هو في أشد الحاجة إلى مؤازتها ، وضاعت جهود هذا المجاهد الإسلامي وسط هذه الـصراعات الجانبية مع زعماء الطريقة القادرية ، ودخل في حرب معهم انتهت باستـشهاده في مدينـة حمد الله في ماسينا في عام 1864 ، وهو يناضل من أجـل بنـاء دولتـه الإسـلامية عـن عمر يناهز السبعين عاما ، حاول خلالها مقاومة التوسع الفرنسي بكل ما أوتي من قوة ، وترك لأبنائه مسئولية هذا العبء الكبير من المقاومة الإسلامية .(2)

بعد استشهاد الحاج عمر ، حاول ابنه الـشيخ أحمـدو الإبقـاء علـى روح الحـرب المقدسة التي أرسى دعائمها والده الحـاج عمـر ، وحـاول الـشيخ أحمـدو الإبقـاء علـى علاقات ودية مع الفرنسيين ؛ حتى يحافظ على الدولة الإسلامية ، ولكـن نظـرا لتخطـيط فرنسا بناء خط سكة حديدية من السنغال إلى جيبـوتي ، فـإن دولـة الحـاج عمـر كانـت عقبة، وكان لابد من القضاء عليها ، خاصة أن الشيخ رفض أن يكـون حليفـا للفرنـسيين، وصار القضاء على هذه الإمبراطورية الإسلامية أمراً محتما(3)

---

(1) عبد الله عبد الرازق إبراهيم : الصوفية والمجتمع فى غرب أفريقيا ، ص128-129 .

(2) تشير المصادر الشفوية إلى أن الحاج عمر قد انتحر بسبب حصاره فترة طويلة فى مدينة حمد الله ، وأنه أضطر فى الساعات الأخيرة إلى تسلق أحد الأسطح حاملاً برميلاً من البارود الذى أنفجر فيه بعد أداء الصلاة وأطلق النار على نفسه .St. Martin : Op . cit . P . 75

(3) Olorunthimen, B.O.: The Segu Tukolor Empire (Ibadan 1976)

استمر الشيخ أحمدو في مواصلة النضال ضد الفرنسيين ، على الرغم من سقوط عدد من المدن في أيدي الفرنسيين ، ورغم تخلي عدد من جنوده عنه ، وعلى الرغم من نفاذ الأسلحة إلا أنه ظل صامدا حتى النهاية ، عندما استولى الفرنسيون على عاصمته ، واضطر الشيخ أحمدو إلى شق طريقه إلى منطقة النيجر ، حيث وجد الملاذ الأخير في دولة سوكوتو في شمال نيجريا ، ومات هناك في سكون عام 1895 ودخلت هذه الإمبراطورية تحت السيادة الفرنسية .

وعلى الرغم من سقوط هذه الإمبراطورية إلا أن اتباع الحاج عمر واصلوا الدفاع عن الإسلام وحضارته ، وكانوا قد اكتسبوا شهرة القيادة الإسلامية في السودان الغربي، وبفضل جهودهم انتشرت الطريقة التيجانية في غرب القارة ، ولا زال رجال الطريقة يواصلون نشر الإسلام الصحيح ، وحضارته في السنغال وغيرها من دول غرب القارة، ولازال الإسلام قويا ، ويشكل حياة الملايين من هذه الدول ، بل يصل في معظمها إلى أكثر من 90٪ من المسلمين الذين يمارسون حياتهم ، ويحافظون على طرقهم الصوفية، ولا تزال الطريقة التيجانية من أقوى الطرق في المنطقة .

إن جهاد الحاج عمر ضد الفرنسيين يجسد مثالا حيويا لنضال رجال الصوفية ضد القوى الأجنبية خاصة الفرنسية ، ولم يكن الحاج عمر هو المناضل الوحيد ، بل حفل تاريخ المسلمين في المنطقة بالكثير من الزعامات الإسلامية المناضلة ضد الوجود الأجنبي ، وكان لها باع طويل في المقاومة ، والحفاظ علي الدين الإسلامي الصحيح أمام التيارات الغربية التي حاولت طمس الهوية الإسلامية في غرب أفريقيا

رابعا : آثار هذا الجهاد علي منطقة غرب القارة

لقد ساعد جهاد الحاج عمر الفوتي التكروري في غرب إفريقيا على تحقيق مزايا كثيرة ، أفادت الإسلام والمسلمين في غرب القارة الإفريقية ، ويمكن أن نلخص أهم آثار هذه الحركة الإسلامية فيما يلي :

أولا : ساعدت حركة الجهاد التي قام بها الحاج عمر ورجاله وأبناؤه من بعده على نشر الدين الإسلامي ، حيث كان لمؤلفات الحاج عمر أثرها في هذا الشأن فيما

P. 311 .

يتعلق بمبادئ الطريقة التيجانية ، التي صارت تناقش الطرق الصوفية الأخرى بفضل جهود عمر الفوتي ، وخصوصا كتابه (رماح حزب الرحيم علي نحور حزب الرجيم) الذي يتألف من خمسة وخمسين فصلا ومقدمة وخاتمة ، ويعالج كل ما يتعلق بأمور الطريقة ، وما يتصل بالزهد عند الصوفية ، وقد عبر أتباع الطريقة عنه بأنه بمثابة المدونة في المذهب ، وقد طبع الكتاب في القاهرة بهامش كتاب جواهر المعاني في عام 1961م .

ثانياً : إن جهاد الحاج عمر الفوتي التكروري يتميز بأنه قام خارج أرضه ، وكان عليه أن يقاوم في جبهتين : داخلية ضد جماعات الوثنين ، وخارجية ضد الأطماع الاستعمارية الفرنسية . ولذا اعتبر جهاداً فريداً من نوعه ، اختلف عن كل حركات الجهاد الإسلامية في غرب القارة ، وكان هذا الجهاد قد استمر فترة طويلة من الزمان قاربت عاماً ، وكلها جهاد ونضال وتوسع لانتشار مبادئ الدين الإسلامي ، والطريقة التيجانية التي سارت في ركاب هذا التوسع التوكولوري ، وتدين الطريقة التيجانية في القارة الإفريقية لجهود عمر وخلفائه ، ويعتبر هذا من أهم آثار حركة الجهاد الإسلامي للحاج عمر الفوتي .

ثالثاً : لقد أثبت جهاد الحاج عمر الفوتي التكروري أنه زعيم إسلامي مخلص في دعوته ، ومناضل من أجل تحقيق أهدافه ونشر مبادئ طريقته ، وأنه رجل مغامر قوي الإيمان ، ولديه الآمال الكبيرة لبناء إمبراطورية إسلامية ، تتخذ من الشريعة الغراء منهاجاً لها ، وكان واسع الحيلة ، بعيد النظر ، يتصرف حسبما تملي عليه الظروف ، فتارة يهادن الفرنسيين لكي يتفرغ للقضاء علي أعمال التمرد ، وتارة يدخل في صراع معهم لصد توسعاتهم أو لفرض الضرائب عليهم ، وفي مرات عديدة حقق عليهم الانتصارات ، ووقف سداً منيعاً أمام تحركاتهم ، وجعلهم يتحاشون التصادم معه ، بل عقد المعاهدات معهم تجنباً لمخاطرهم ، حتى يتفرغ لنشر دعوته ، فكان جهاده من أروع ألوان الجهاد في غرب القارة الأفريقية .

رابعاً : إن هذا الجهاد أثبت أن المسلمين في تلك الفترة من القرن التاسع عشر لم يدركوا أبعاد المخاطر التي تحدق بهم ، وانشغلوا بصراعاتهم الداخلية ومشكلاتهم وطرقهم الصوفية ، ونسي الكثيرون منهم أن دينهم في خطر ، وأن الجهود يجب أن تتكاتف للوقوف يداً واحدة أمام هذا الطوفان الاستعماري ، واثبت الحاج عمر أنه كان بعيد النظر ، وأنه كان يسعى لتوسيع الإمبراطورية الإسلامية وتكوين حلف قوي يصمد

أمام الاستعمار الفرنسي الذي عرفه عن قرب وفهم أهدافه ، وعرف ما يضمره للإسلام وللمسلمين ، لكن هذه الجماعات الإسلامية والوثنية تكاتفت ضده وتحالفت مع بعضها البعض أمام هذا المجاهد ، وبدلا من أن تلتف حوله وتكون ساعده الأيمن في جهاده ، وجدناها تتربص به وتحاصره لمدة تسعة أشهر ، وتمنعه من الخروج من حمد الله ليواصل مسيرة الجهاد ، وحتى عندما ضاقت به السبل وأحدق به الخطر من حوله، حاول الخروج من هذا الحصار الأفريقي ليجد الإصرار منهم على مواصلة تتبعه وحصاره مرة ثانية ، حتى أجبروه على الاستشهاد ، في كل وقت كانت المنطقة في أمس الحاجة إلى جهوده المخلصة لنشر الدين ، وكانت وفاته خسارة كبري ، جرت على المنطقة التفرقة والصراعات الدموية ، والانقسامات الداخلية التي جعلتها لقمة سائغة أمام قوى الاستعمار الأوروبي .

وباختصار ، أثبت هذا الجهاد الإسلامي أن الحاج عمر كان دبلوماسيا وحكيما ثابت العزيمة ، قوي الإرادة ، استطاع أن يؤسس دولة إسلامية كبرى في غرب القارة في أرض بعيدة عن وطنه ، واستطاع التحرك بهذه الإمبراطورية كلما أحاطت به الأخطار ، وثبت أنه مغامر جريء يؤمن بالتيجانية ولا يحيد عنها ، وينشر مبادئها بالرغم من الأخطار التي تحيط به ، وأثبت الحاج عمر أنه لا يأس مع الحياة ، وأن دعوة الإسلام لابد أن تنتشر ، وأن قوى الشرك لابد أن تندثر ، فكان لا يتهاون في أمر من أمور الدين، ولا يساوم على شيء يخص العقيدة ، مهما كلفه ذلك، وأنه لابد من إعادة الدين إلى صفاته ونقائه ، وكان الثمن هو التحدي وحصاره ، حتى قضوا علي جهوده وأجبروه على الاستشهاد ، وهو في روعة انتصاراته ، وفي قمة صراعه مع الفرنسيين .

وما أحوج العالم الإسلامي في المشرق والمغرب ، إلى مثل هذه الزعامات الإسلامية التي آمنت بربها ، ودخلت الدين الإسلامي راضية مرضية ، ونادت بتطبيق المبادئ السامية ، بعد أن نهلت من كل فروع الثقافة الإسلامية وروافدها ، وراحت تغذي حركات الجهاد الإسلامي بهذا الفيض الرباني ، وذلك المورد الذي لا ينصب من تراث الإسلام والمسلمين ، فكانت دعوة للجهاد ، وطريقة لإصلاح العقيدة بعد أن شابتها البدع، فجاءت هذه الحركة مكملة لجهاد بقية زعماء الجهاد الإسلامي الذين لازلنا حتى يومنا هذا نلمس آثارهم في كل منحى من مناحي الحياة في هذه الجهات ، كما نحس بجهودهم المخلصة التي أرست عقيدة الإسلام والمسلمين في ذاك الجزء من العالم الإسلامي ، وجعلت اللغة العربية منهاجاً للثقافة والفكر في هذه البقعة الإسلامية .